جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

المفارقة الدلالية وبناء القصيدة دراسة تحليلية في شِعر عنترة

الدكتورة

وفـــاء أحمـــد جـــابر

أستاذ البلاغة والنقد المساعد- كلية العلوم والآداب بالرس
جامعة القصيم ـ المملكة العربية السعودية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الرابع عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المفارقة الدلالية وبناء القصيدة دراسة تحليلية في شِعر عنترة

وفاء أحمد جابر

قسم البلاغة والنقد - كلية العلوم والآداب بالرس ـ جامعة القصيم ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: WafaaGaber25@hotmail.com

الملخص

يطرح النَّص العنتري وضعية المألوف في هذا المستوى، ثمَّ يشرع في إزاحة الدِّلالة المباشرة، والخروج من ربقها المعتاد. حيث عمد النَّص العنتري إلى تفجير الآليات جماليًّا، وجاء ذلك بتشكيل وجود نصِّي بصورته المزدوجة، يحمل حالة من المفارقة و التناقض؛ مما جعله مفتوحًا أمام تأويلات القارئ؛ تبعًا للمعطى النَّصي. حيث يتضمن النص صراعا ثنائيا للتجربة الشعرية و مواقفها عند الشاعر. وفي إطار هذا الفهم يأتي تركيز البحث الحالي على الجوانب الإيجابيَّة في شخصيَّة عنترة كما عرضها شعره، وحالة التصادم معه، اعتمادا على المنهج النقدي التَّحليلي، الذي يمتد تحليله إلى عمق النَّص؛ لمعرفة التناقض الواقع بين سطح النَّص وعمقه، بوصفه الهدف الأسمى لمشاركة القارئ في إعادة إنتاج النَّص، بملء فراغاته في إطار جذب انتباه القاريء لتلك الثنائية بتناقضها و تغيراتها.

وفضلا عن المقدمة والخاتمة، يشتمل هذا البحث على مدخل، يتضمن مفهوم المفارقة وروافدها عند الشاعر عنترة العبسي، كما يحوي ثلاثة مباحث عامة، ركزت على أنماط المفارقة الثلاثة: مفارقة الموقف، و المفارقة التصويرية، و أخيرًا المفارقة اللفظية.

الكلمات المفتاحية: الشعرية؛ الصورة؛ عنترة؛ اللفظية، المفارقة؛ الموقف.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The semantic paradox and the construction of the poem An analytical study in the poetry of Antara

Wafa Ahmed Jaber
Department of Rhetoric and Criticism - College of Science and Arts in Al-Rass - Qassim University - Kingdom of Saudi Arabia
Email: WafaaGaber25@hotmail.com

Abstract

Abstract: At this level, the text`s Antara of presents the familiar position, and then it begins to offset the direct indication, and out of its usual usage. The text intends to blow up the mechanisms aesthetically. This act can occur by double case of text, which carries a state of paradox and contradiction, which made it open to the interpretations of the reader, according to the textual given. The text contains a bilateral struggle for poetic and life experience and its positions in the poet. Within the framework of this understanding comes the focus of the current research on the positive aspects of the personality of s Antara as presented by his poetry, and the state of collision with him, based on the analytical critical approach, whose analysis extends to the depth of the text, to know the contradiction between the surface of the text and its depth, as the ultimate goal of the participation of the reader in the reproduction of the text by filling his voids in the context of attracting the reader's attention to that duality with its contradiction and changes.

In addition to the introduction and conclusion, this research includes an introduction that includes the concept of the paradox and its tributaries in the poet Antara al-absī, as well as three general investigations, which focused on the three paradox patterns: the paradox of the situation and the pictorial paradox, and finally the verbal paradox.

Keywords Poetics; Metaphor; Antara; Verbalism, Paradox; Attitude.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

١. إشكالية البحث

يقف هذا البحث على دراسة ظاهرة المفارقة الدِّلاليَّة في شِعر عنترة بن شداد، محاولة لقراءة مختلفة عن القراءات السَّابقة لقصائده. وذلك بدراسة أساليب المفارقة في شِعره والتَّعرف إلى طبيعتها ووظيفتها الإبداعيَّة. حيث تتعدد المفارقات عنده سواء ما اتصل بالموقف الشعري أو ما شكلته الصورة الشعرية، وكيف تقوم البنية اللفظية في رسم خطوط هذا التناقض الدلالي.

وتتمثل المفارقة رسما لأوجه التناقض بين أشياء يجب أنْ تكون متوافقة، فتظهر منها الأشياء بعكس حقيقتها المعهودة، أو بالأحرى تظهر خلاف ما تبطن. فترى الكذب في الصِّدق والخيانة في الوفاء والزِّيف في الحقيقة "فالمفارقة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع، كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق في واقعة الاختلاف"[١]. مما يضفي نوعاً من الغرابة و الإثارة، التي تسهم في كسر أفق التَّوقع لدى المتلقي القارئ.

إنَّ هذا الشَّاعِر العبسي العظيم مرَّ بتجربة حياتية قاسية، فقد نبذته قبيلته، وطردته من إطار عَلاقتها الاجتماعيَّ، بما اعتادته من عرف بغيض، وسلوك اجتماعي مقيت، فكان ذلك رفضًا وإدانة طبقيَّة في المجتمع القبلي دون جريرة فعلها الشاعر. وكيف لمثله أن يحدث له ذلك! وهو الشاعر الفارس العاشق، ذو الكبرياء و الطهارة نفسا، المنبوذ عضوا، إنه "عنترة

١) علي عشري زايد: بناء القصيدة العربية الحديثة، ص ١٣٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بن شداد من قبيلة عبس إحدى قبائل مضر. وكان هو وقومه يسكنون نجدًا، وكانت أمه أمَةً حبشية سوداء اسمها "زبيبة"، سباها أبوه في إحدى غزواته، فأولدها عنترة. وكانت عادة العرب أنْ تستعبد أولاد الإماء؛ أي تتخذهم عبيدًا لا أولادًا، إلَّا إذا أتوا بأعمالٍ عظيمة، فحينئذ يعترفون ببنوتهم"[١]. وعلى الرغم من إتيانه بأعمال عظيمة ومشاركته في البطولات، فلم يشفع له ذلك عندهم فيغيروا نظرتهم له، و هو المشهود له عندهم بأنه حامي حماهم، و المفتخَر ببطولته وفروسيته؛ فهو يخوض غمار المعارك ببسالة نادرة، حيث نسب له اشتراكه في أكبر المعارك الحربية في وقتها: داحس، والغبراء.

وقد وجد عنترة ضالته في الدفاع عن نفسه بشِعره ليكون درعا و سلاحا، مما كشف مفارقات عدة قدمتها تجربته الحياتية، ونشأت تلك التناقضات تعبيرا عن حالته النفسيَّة المليئة بالأحاسيس الغامضة، فقد كان الكبت ومركب النَّقص، والعُقد النفسية والشعور بالقهر...إلخ، من أهم العوامل التي ساعدت على تأجج المفارقة واشتعالها في شِعره....؛ إذ حاول عن طريق شِعره تعويض العُقد التي كان يشعر بها (اللون ــ النَّسب ــ الرِّق) بأفعاله وشجاعته وخصاله، كما حاول عن طريق شِعره أنْ يثبت نفسه ويصنع لنفسه مجدًا وبطولة يتغنى بها، ويحقق نوعاً من الحضور العميق في الوجود الذي ينكر وجوده، وينقذ نفسه من خطر الجحود والإنكار، فأصبح وجهته أن يتشكل الفارس بدلا من العبد، وأصبح حديثاً يُروى وقصة تُحكى، وملحمة يتغنى بها. "ذلك أنَّ الفن يبدأ فقط، حينما ينقل الإنسان مشاعره التي يعانيها إلى الآخرين، بهدف محدد، حينما يستحضر تلك المشاعر من جديد إلى نفسه، ثم يُعَبِّر عنها بإشارات خارجيَّة معينة"[٢]

١) مصطفى السِّيوفي: تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص ١٧٧.
٢) فريدة النَّقاش: أوهام ليست جديدة، ص ١٥.

و ترجمة لهذا المعنى كان عنترة الشَّاعر الذي تمكن من تحويل منغصات الحياة فصاغ التَّفكير السَّلبي تجاهه فحوله إلى فضائل إنسانيَّة. فكانت المفارقة من التحديات الرئيسة، التي عملت على تزويده بأكثر ما يمكنه من مواجهة عواصف الحياة وظروفها العصيبة باتزان ورباطة جأش وبتفاؤل واستبشار؛ وبالتَّالي تحويل أغلب ما هو سلبي إلى إيجابي؛ لتتشكل المفارقة بطرفيها في تلك الثنائية.

ويبدو جليًّا أنَّه لا يوجد فرق بين عنترة الشَّاعر وعنترة الإنسان، فقد أدى فقدانه لهويته الطبيعية بصفته إنساناً في نظر قومه وإنكار المجتمع له إلى محاولته مناقضة ذلك لإثبات ذاته، والخروج من بوتقة الرِّق والعبوديَّة ، فحاول عن طريق شِعره أنْ يصنع لنفسه عالماً، يخرج فيه من عالم الظُّلم ونكران الجميل إلى عالم الحريَّة والحُب، و بمواجهته لمجتمعه أصبحت المفارقة جزءًا من رؤيته الحياتية والشِّعرية؛ وربما لجأ لهذه المفارقة لأداء وظيفة من أهم وظائفها ألا وهي تحقيق التَّوازن في الحياة والوجود. فلعل عدم التلاؤم في حياته كان دافعاً لإبداعه الشِّعري؛ فـ"هناك في الغالب تلازماً بين الإبداع الفني والإخفاق فيما تواضع عليه النَّاس من أمور الحياة."[١]

وقد استخدم عنترة المفارقة في شِعره، التي تمثل واقعه في الوقت نفسه؛ ليعالج حالة التناقض في أفكاره وصوره وحياته كلها، وقد كان على وعي كبير في استخدامه للمفارقة وتوظيفها بطريقة صحيحة، فقد وظفها على مستوى الكلمة والجملة والبيت؛ مما ساعد على إثراء النَّص الشِّعري وجذب انتباه المتلقي ومحاولة فهم المعنى وما يومئ إليه.

---

١) عبده بدوي: دِراسة في نص للمتنبي، ص ٨٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢. أسباب اختيار الدِّراسة:

تعددت أسباب الوقوف على هذه الظاهرة في شعر عنترة، و أهمها:

- إبراز تقنية المفارقة بوصفها بنية مهيمنة تحقق قيمة الإبداع والتَّلقي على حد سواء.
- توافق ظاهرة المفارقة مع خصوصية التجربة الحياتية، التي مرَّ بها الشاعرعنترة.
- ثراء التجربة الشعرية لعنترة بالظواهر الفنية الإبداعية، نحو المفارقة والحوارية و الخطاب الإقناعي؛ ما يعد الوقوف على مثل هذه الظاهرة؛ كشفا لبعد من أبعاد التجربة الفنية الثرية عنده.

٣. أهداف الدِّراسة:

<u>وشمل ما يأتي:</u>

- الوقوف على مفهوم المفارقة وأساليبها وصورها و توظيفها الشِّعري والجماليَّ في النص.
- إثارة مثل هذه القضيَّة الإبداعيَّة ترمي إلقاء الضَّوء على مكامن القوة والفضائل الإنسانيَّة، التي تجعل الحياة جديرة بأنْ تُعاش كما قدمتها التجارب الإبداعية الشعرية.
- الإفادة من معطيات المفارقة في الكشف عن الأنساق المضمرة داخل النَّص.
- كشف انسجام التجربة الشعرية مع التجربة الحياتية في نموذج من أبرز نماذج الشعر القديم، وهو عنترة بن شداد، الذي تمثل تجربته الشعرية ملحمة شعرية درامية عربية أسطورية.

٤. منهج، التساؤلات و المحتوى

يقوم هذا البحث على المنهج النَّقدي التَّحليلي. وقد حفل النص العنتري بالعديد من الشَّواهد التي تكشف طبيعة ظاهرة المفارقة وملامحها. وهو ما أتاح طرح عدة تساؤلات، أبرزها:

- ما مفهوم المفارقة و أنماطها من الجانب النقدي؟ و ما اختصاصها بتجربة عنترة الشعرية؟
- كيف حملت ظاهرة المفارقة في النص الشعري قيما فنية خاصة، ميزتها عن غيرها من الظواهر النقدية المناظرة؟
- ما طبيعة حضور ظاهرة المفارقة في شعر عنترة؟
- ما هي أبرز صور المفارقة التي تفرد بها شعر عنترة؟

و بناء على ذلك وللإجابة عن التساؤلات السَّابقة قسمت الدِّراسة إلى مقدمة، ومدخل، و ثلاثة مباحث، تذيل بخاتمة تحتوي على أهم نتائج الدِّراسة، أما مباحث لدراسة؛ فهي:

المبحث الأول: مفارقة الموقف و التجربة الشعرية العنترية

المبحث الثاني: المفارقة التصوريَّة في شعر عنترة

المبحث الثالث: المفارقة اللفظيَّة و آثارها في شعر عنترة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- **مدخل**:

تُعَدُّ المفارقة من أهم بنى الإبداع الأدبي، خاصة الشِّعر، حيث تعمل على إثراء البناء الدِّلالي للنص. فقد استخدمها معظم الشعراء على مَرِّ العصور بدرجات متفاوتة وفي شتى الفنون الأدبيَّة. والمفارقة لها عَلاقة وطيدة بالكون والوجود. فالنفس مليئة بالمتناقضات وكذلك الكون به كثير من العَلائق المتضادة والمتناقضة. كما أنَّ المفارقة تخرج الألفاظ من دلالتها الحقيقيَّة إلى دلالات مغايرة لِمَا عليه في الأصل. وتعتمد المفارقة – أساساً– على المتناقضات. "فالبناء المفارقي يكشف عن التَّعارضِ بين أطرافٍ قد تبدو غير متعارضة، وعن اجتماع ثنائيات متضادة لا يجب أنْ تجتمع."(١)

ولا تقتصر المفارقة على رؤية التناقضات فحسب، "بل القدرة على تشكيلها في الذهن كذلك، وكذلك تشمل قدرة المرء، إذ يواجهه أي شيء على الإطلاق أنْ يتخيل أو ينكر،أو يلاحظ شيئًا يُشكِّل النقيض على مستوى المفارقة."(٢) إنها حالة خاصة للتكيف مع ثنائية لا تسمح – في الحالة الطبيعة– بالاندماج، لكن قدرة المبدع الخاصة تكمن في خلق عالم فريد، يجمع الشتات و المتغايرات في حالة مناظرة وتلاق، تحمل متعة المعاناة و إثارة الممارسة له و للمتلقي.

و يبدو واضحا أن للمفارقة أهمية كبيرة في جعل النَّص مفتوحاً على التأويلات أو قابلا للكتابة الجماليَّة من قِبَل القارئ؛ فهي تقيم جسرًا بين

---

١) حسني عبد الجليل يوسُف: المفارقة في شعر عدي بن زيد، الموقف والأداة، ص١١ .
٢) ميويك: المفارقة وصفاتها، ص ٥٤ .

النَّص والمتلقي، ويكون للأخير وظيفة كبيرة ومهمة. فللمفارقة مستويان للمعنى في التعبير الواحد مستوى سطحي للكلام ومستوى خفي كامن لم يُعبِّر عنه، ويحاول القارئ اكتشافه. وقد قسم "ميويك" المفارقة إلى قسمين رئيسيين، يصعب الفصل بينهما، هما: المفارقة اللفظيَّة الدلالية، و مفارقة الموقف و الصورة، و لكل منهما حضور خاص في نصوص عنترة الشعرية و تجربته الحياتية، التي قدمتها أشعاره.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

مفارقة الموقف و التجربة الشعرية العنترية

مفارقة الموقف تمثل تشكيلا لموقف ثنائي للذات، حيث تُعبِّر عن الشَّخص الضَّحيَّة، ألا وهو عنترة بن شداد، فهو يتخذ موقفاً مغايرًا غير متوقع تجاه مَنْ نبذوه وتخلوا عنه، وقد تمثل هذا الموقف في تجربة عنترة الشعرية في عدة ملامح شكلت صورته العامة، و هي:

١) مفارقة خلاف التوقع في الموقف

٢) مفارقة تناقض الموقف

٣) مفارقة مخالفة الحالة

٤) مفارقة الأدوار في الموقف

٥) مفارقة التحول

١) مفارقة خلاف التوقع في الموقف:

تكشف هذه المفارقة مخالفة ما يتوقعه المرء في الموقف الذي يمر به، فيترقب شيئًا، لكن النتيجة تكون مخيبة لآماله. وأجد الشاعر عنترة – على سبيل المثال– يقدم مواقف إيجابية كثيرة، فتقع مفاجأة الموقف، بتلك الحالة المغايرة تماماً لما رسمه في ذهنه وتوقعه، وهذا ما يُحْدِث المفارقة، ومن أمثلتها قوله: (الوافر)

وَلاقيْتُ العِدا وحفِظتُ قوْمًا أضاعُوني وَلَمْ يَرْعَوا جَنابي[١]

١) عنترة بن شداد: شرح ديوانه، ص ١٤ .

فعلى الرغم من السّلوك الإيجابي للشاعر، وكونه ضمن أسس الأمـــان لقومه، إلَّا أنَّه لم يلق اهتمامـــاً كافيـــاً لائقا منهم، بـــل قوبلـــت مســـاندته الحربيَّة لهم بالتخلي والجحود، فلم يجد في مقابل ذلك مساندته اجتماعيـــاً والاعتراف ببنوته نسبـــاً.

و يصور البيت السَّابق مدى صدمة الشاعر عندما توقع مـــن قومـــه خَيرًا، إزاء ما قدمه لهم ومقابل ما دافع عنهم وحفظ عهدهم ، فـــالمتوقَّع – هنا– أنْ يحفظ قومه له جميل فعله، ولكن حدث خلاف ذلـــك تمامًـــا ، فلـــم يراعوا حرمته وضيعوه ، وأصبح يشعر بالألم والخيبة .والمفارقة في شِعره توجه القراءة إلى معنى عميق هو (إخلاصه لهم) بدلًا من (إعارضه عنهم)؛ لما لاقاه من ظلمهم له، وتعنتهم معه وعدم الاعتراف به، وبـــذلك يتحـــرك المحور الدِّلالي الذي يقوم على السَّلبية إلى محور دلالي مناظر، يقوم علـــى الإيجابيَّة، والولاء لأهله و قبيلته نحو قوله: (الوافر)

سكتُّ فَغَرَّ أعْدَائي السُّكوتُ وَظنُّوني لأَهلي قَدْ نسِيتُ[١]

فلعلَّ الفخر القبلي وعصبية الشَّاعر كانا سببـــاً في أنَّه يفاجئ أعدائه بخلاف توقعاتهم فيه، ردا على موقف أهله منه وبغضهم له، فعلى الرغم من ذلك الموقف الطبيعي توقعـــاً؛ فإنَّه ما نسيهم وما جحد فضلهم عليـــه، فقـــد تربى في خيرهم؛ لذا فهو متمسك بهم، يلبِّي نداءهم وقتما احتـــاجوا إليـــه، يسرع لنجدتهم إذا استنجدوا به في قتال الأعداء، وبهـــذا حـــدثت المفارقـــة الموقفية بين الموقف الحادث وما هو متوقع حدوثه من الشَّاعر مما يثيـــر مفاجأة لكل من يقف موقف التلقي، سواء في زمنه (قومه أنفســـهم و كـــل أعدائه)، و المتلقي العام سامعا كان أو قارئا.

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص ٢٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإذا ما استند القارئ إلى القراءة السَّطحيَّة يكون أمامه المتوقع، لكن تأمل السِّياق يجعل القراءة السَّابقة بعيدة عن هذا التَّوقع؛ لأنَّها نقلت المتلقي القارئ من رد فِعل سلبي إلى آخر إيجابي؛ بل تصل المفاجأة إلى قلب التوقع نفسه وما هوفطري طبيعي، فيجعل الجبان شجاعا قويًّا، يواجه الأعداء والسِّباع، فالمتوقع أنْ يظل الجبان جبانًا مهما حدث، ولكنَّه أصبح قويًّا، بعد منحه عنترة رمحه، وكأنَّ هذا الرِّمح جعل من هذا الجبان فارسًا شجاعًا يهابه الجميع في مفارقة موقفية، تغاير المعتاد و المألوف، كما جاء قوله: (الوافر)

وَلَو أَرسَلتُ رُمحي مَع جَبانٍ لَكانَ بِهَيبَتي يَلقى السِّباعا [١]

لعله أصبح من المُسَلَم به الاعتراف بشجاعة عنترة، لكن تتولد المفارقة في أنَّ رمحه هو الآخر إنْ يكن في يده- أو كان مسندًا إليه - يخيف العدو، فهو يكتفي بإرساله- فقط- في يد أي جبان، كما كشفه تنكير اللفظ (جبان)

وتتولد المفارقة في قوله – أيضًا- :

تضَمَّنَ نعْمتي فغدا عليها	بُكُورًا أَوْ تَعَجَّلَ في الرَّواح
ألمْ تعلمْ لحاكَ الله أنـيّ	أجَمُّ إذَا لَقيتُ ذوي الرِّماح[٢]

فالبيت يجسد المفارقة ويُعبِّر عن إحساس الشاعر بها ، إزاء تصرف هذا الرجل الذي يوجه إليه خطابه، الذي قابل جميله بخلاف ما توقعه عنترة، بعدم الوفاء وقلة الأمانة ، بعد أنْ أعاره رمحه ، فأمسكه عنده ولم يصرفه

١) السابق، ص ٨٨ .
٢) السابق ، ص ٣٧.

إليه. ويكشف الاستفهام في البيت الثاني أوج التعجب والإنكار من جهل هذا الرجل بمكانة عنترة وقوته وشجاعته عند لقاء أعدائه، في موقف يخالف ما توقعه الشاعر من إنصاف و تقدير له.

٢) **مفارقة تناقض الموقف**:

و تقوم هذه مفارقة في هذا النوع على أساس من التناقض، فتتولد دلالات جديدة بسبب هذا التناقض، وقد ظهر هذا النوع في مواضع متفرقة من شِعر عنترة؛ وقد يرجع ذلك إلى سبب نفسي يتصل بالعالَم الباطني لشخصيته، وتجربته الحياتية التي جمعت بين المتناقضات، ويظهر ذلك في تناقض اللفظ والمعنى في قوله: (الكامل)

فَاِغتالَني سَقَمي الَّذي في باطِني أَخفَيتُهُ فَأَذاعَهُ الإِخفاءُ[١]

ويتجلى التناقض –هنا– في موقفه النفسي، الذي يحاول فيه إخفاء حُبه لعبلة وهيامه بها، فيفاجئ القارئ بشيء يحدث التناقض. فالذي يذيع حُبه هو الإخفاء ذاته، فكيف يكون ذلك ؟! فحتمًا هذا الموقف الغريب يُحدث تناقضًا، لكنَّه يعكس شدة حبه وولهه بمحبوبته ، فحتى الإخفاء لا يقوى على كتم هذه المشاعر الملتهبة. إذ يتبدَّى (الإخفاء) مناقضًا لـ (أذاعه).

وتتجلى – كذلك– مفارقة التناقض بصورة واضحة لهذا البطل الفارس في موقف غريب يناقض ما يجب اتخاذه، بقوله:

لَمَّا رأيت القومَ أقبلَ جمعهم يتذامرون كررت غير مُذمّم (٢)

١) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص ٦.
٢) السابق ، ص ١٢٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فتقوم المفارقة – هنا– على متناقضين، و هما جمع الأعداء وشخصية عنترة المفردة، فهو يقول: لمَّا رأيت الأعداء أقبلوا نحونا، يحث بعضهم بعضًا على قتالنا، هجمت عليهم محمود القتال، فيبين في هذه الصُّورة أنَّه لم يحث قومه على القتال مثلما فعل الأعداء، أي بصورة مفردة نقيضة لصورتهم، وفي ذلك دِلالة على بسالته وشجاعته ومغامرته بنفسه في خوض المعارك. فـ" قيل لعنترة: أنت أشجع العرب، وأشدها؟ قال: لا، قيل: فبماذا شاع لك هذا في النَّاس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا، ولا أدخل إلَّا موضعًا أرى لي منه مخرجًا، وكنتُ أعتمد الضَّعيف الجبان، فأضربه الضَّربة الهائلة يطير لها قلب الشُّجاع، فأثني عليه، فأقتله"[١]. فهو أشجع رِجال قبيلته، وأشدها في حروبها مع الآخرين.

وإذا خرج عنترة عن دائرتي الأهل والقوم، فهو ينتمي إلى دائرة الفوارس التي يفتخر بها كثيرًا؛ فهي عالمه الخاص و مرتع إثبات ذاته، كما قال:

ولِقَدْ شفى نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم[٢]

فقد طابق بين كلمتي (شفى) و (سقمها)؛ ليظهر الفرق بين نعت قومه ووصفهم له بالعبد، وما صار إليه الأمر بتلقيبهم له بالفارس، إلا أنَّ نظرات التَّعالي والتَّعصب والتَّحامل كانت دوما حاضرة؛ حيث كانت توجه إلى عنترة، و يعاني منها كثيرًا لتصيبه بعقدتها في وقت السِّلم، وهي كلها تندرج تحت قسوة العبودية وعدم اعتراف والده به، لكن تناقض الكلمتين السابقتين

١) الأصفهاني: الأغاني ، ٨/ ٢٤٤.
٢) شرح ديوان عنترة بن شداد ،ص ١٢٩.

وسياقهما يشير– هنا– إلى أنه شفي منها في وقت الحرب، حينما ينادي عليه الفرسان وسط المعركة، ويستنجدون به، فيصبح فارس الفوارس أو السيد بدلا من العبد، ومن هنا تتولد المفارقة، محققة التَّوازن النَّفسي الذي ينشده بداخله.

كذلك من صور التناقض التي ظهرت بصورة واضحة في شِعره – أيضًا– وأحدثت مفارقة جليَّة، فخره بعبوديته ، وهذا أمر ليس طبيعيًّا. فالشُّعراء – دومًا – يفخرون بأنسابهم وقبائلهم، ولكن يأتي عنترة ليخالف المعهود ويناقض الطبيعي، ويفخر بعبوديته بعد أنْ فرض عليه قومه ومجتمعه هذا الأمر المؤلم للذات، فأراه يقول في معنى يحاول فيه إثبات الهُويَّة، مستخدمًا "أنا" ضمير المتكلم الدَّال على الاعتزاز بالنفس والفخر بها وتكراره في أكثر من موضع، بما يكشف عن رؤيته الحقيقية لذاته وشخصيته بعيدًا عن آراء قومه والنَّاس كافة، بل متجاهلا الواقع الموحش للوجود البشري، فيقول في الوقت نفسه باللغة و بدافع الواقع الاجتماعي ما اعتاد سماعه منهم، أو بالأحرى باسم الوعي الطَّبقي واللوني لديهم، لينقض ذلك بردة فعله النَّفسيَّة حيالهما في صورة المواجهة بين ما يقال لهو بما يحدثه هو، على نحو ما تكرر في تلك الأقوال: (الوافر)

أَنا العَبدُ الَّذي خُبِّرتَ عَنهُ يُلاقي في الكَريهَةِ أَلفَ حُرٍّ [١]

وقوله: (الوافر)

أنا العَبدُ الَّذي خُبِّرتَ عَنهُ وَقَد عايَنتَني فَدَعِ السَماعا[٢]

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ٧٧.

٢) السابق ، ص ، ٨٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقوله أيضًا وبالمنطق نفسه، أو منطق الفخر بعبوديته: (الوافر)

أَنا العَبدُ الَّذي سَعدي وَجَدّي يَفوقُ عَلى السُها في الارتِفاعِ [١]

وقوله في موضع آخر: (الطويل)

بَني عَبسَ سودوا في القَبائِلَ وَافخَروا بِعَبدٍ لَهُ فَوقَ السَماكَينِ مِنبَرُ [٢]

واللافت أنَّ هذه الأبيات تمثل المحرك النَّفسي لنظمها؛ إذ تلمس إحساس النَّقمة الاجتماعيَّة التي تقع في نفسه. وتكاد تتمحور حول (الأنا) التي تمثل مصدر ثقة وقوة له؛ لذا فهو يكرر ضمير المتكلم المنفصل (أنا)، حيث إنَّه "بوسع الضَّمير الأنوي أنْ يؤدي وظيفة احتجاجيَّة أعلى وأشد قوة من حيث التَّأثير في المتلقي."[٣] ومن ثمَّ انطلق الشَّاعر من التَّسليم بأنَّ المفارقة هي آلية من آليات تحرره من عبوديته، سواء أكان هذا التَّحرر للذَّات أم الظَّرف أم السِّياق، وتؤصل إرادته الحُرة في نظم وجهة حياته ومسارها.

وإذا وضع القبح صفة للعبد، فإنَّ "القبح –نفسه– لا معنى له من غير أضداده؛ التي تؤسس بحضورها، حتَّى في عَلاقات الغياب، دِلالة اختلافه عنها واختلافها عنه. ولذلك تنبني شِعريَّة القبح على مبدأ إحباط التَّوقع الذي يفعل فعله في اتجاهين على الأقل: الاتجاه الأول هو الاتجاه الذي يصدم توقعاتنا الرُّومانتيكيَّة التي ألفناها أو ورثناها عن الثَّقافة السَّائدة.

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ٨٥ .
٢) السابق ، ص ٦٩ .
٣) محمد صابر عبيد: الخِطاب الخفي، كَنْزُ السِّرة وسِحرُ المخيلة، ص ١١٠.

أما التجاه الثَّاني فيتجلى فيما تمارسه شِعريَّة القبح على نفسِها، مستخدمة المبدأ التَّكويني ذاته، خصوصًا حين تغدو دمامة ترابطات صورها المجازيَّة أقرب إلى توقع القارئ، ومن ثمَّ أدنى إلى الإملال والسَّآمة. عندئذ تلجأ هذه الشِّعريَّة إلى الإبقاء على حيوتها بإحداث ثغرات في متصل المتوقع منها، ومناوشة عمليات التَّلقي بنقائض مراوحة، ومن ثمَّ مروغة الدَّمامة بما يخفف منها، ويبعدنا عنها بما يردنا إليها في حال من طزاجة تلق متصلة، حال تتوتر فيها سياقات القصيدة بين إشباع التَّوقع وإحباطه."[١]

و كذلك اللافت في جميع الأبيات السَّابقة أنَّ الشَّاعر حين يفخر بعبوديته فإنَّه يقرنها دائمًا بشجاعته وفروسيته، وكأنَّه يريد أنْ يثبت لأهله أنَّ هذا العبد الذي لا يعترفون به أو ببنوتهم له هو المدافع عنهم وحامي عرضهم وأرضهم. فـ" كان عنترة أسود كأمه، ولذلك عُدَّ من أغربة العرب، وكان يشعر بأنَّ ما فيه من عيب سواده تغسله شجاعته وفعاله" [٢]. أو يجد في هذه الخِصال تعويضًا عن حريته، وتدعيمًا لفرادته الشَّخصيَّة وتميزه.

ويتمظهر مكون المفارقة في مواقع حساسة في مشاعره تجاه أهله، ويتبين ذلك في قوله:

هُمُ الأَحِبَّةُ إِنْ خانوا وَإِنْ نَقَضوا عَهدي فَما حُلتُ عَن وَجدي وَلا فِكري [٣]

ويتمثل التناقض –هنا– في موقف الشَّاعر من أهله الذين نقضوا عهودهم وخانوه، حيث يقابل هذه الخيانة وعدم الوفاء بالتَّمسك بهم وحبه

١) جابر عصفور: رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربيَّة في الشِّعر، ص ٢١٢.
٢) مصطفى السيِّوفي: تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص ١٧٧.
٣) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ٧٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لهم ، فكيف يكون ذلك ؟! مما يؤدي إلى تأكيد المفارقة، التي تؤدي إلى تأكيد حُب عنترة لأهله وحرصه عليهم مهما فعلوا به. فلا يمكن القضاء على غربته ووحدته إلَّا بالاتصال بهم وجدانيًّا؛ إذ لا يمكن القضاء على عزلة الذَّات الإنسانيَّة "إلَّا بالاتصال بين الشَّخصيَّات: بين الأنا والأنت في أشد أغوار النحن عمقًا." (١)

ويقول عنترة مقارنًا بين أسلوب عيش محبوبته عبلة وأسلوب عيش حياته هو، وما يحتويه من رأس المال النَّفسي الإيجابي: (الكامل)

تمسي وتصبح فوق ظهر جشية وأبيتُ فوق سراة أدهم فلجم(٢)

و هو يصور حالته المفارقة لحالة حبيبته، فهذه وليدة الرَّاحة والرَّفاهية، تمضي يومها كله مطمئنة مستريحة، أما هو فيمضي ليله على فرسه الأسود المهيأ للقتال. لا يعرف النَّوم، ولايذوق طعم الرَّاحة. كما يُلحظ أنَّ الشَّاعر قد استخدم لون السَّواد لفرسه، وهو لَون يناسب الليل المُظلم.

٣) مفارقة مخالفة الحالة :

نطرًا لأنَّ نص المفارقة يبدي خلاف ما يضمر، فإنَّ" بنية التخالف تدخل في المفارقة، من جهة اعتماد التخالف في بنيته السَّطحية على التَّصادم، الذي يؤول إلى التَّوافق في بنيته العميقة فتتولد المفارقة نتيجة لذلك."(٣) " ففي هذا النوع من المفارقة يتم تقديم منطوقات مخالفة لبعضها

---

١) نقولا بردايئف: العزلة والمجتمع ، ص ١٠٧.

٢) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ١٢٤ .

٣) عبد التواب محمود عبد اللطيف: المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين، ص ١١٤

البعض على أساس من المفارقة" [١] . ففي حالة عنترة إذا كان لون البَشرة معيار التَّمييز بين البَشَر، وممثلًا لإيجاد التبريرات للفكرِ الحاد والإقصائي باتجاه الدَّاخل والخارج عن القبيلة كما حدث معه، فإنَّ هذا الأمر التَّعصبي جعل ما يوازيه من الشَّجاعة والقوة التي تمحوه بضده، بمخالفة كاملة للحالة، كما في قوله: (الوافر)

أُعادي صَرفَ دَهرٍ لا يُعادى وَأَحتَمِلُ القَطيعَةَ وَالبِعادا
وَأُظهِرُ نُصحَ قَومٍ ضَيَّعوني وَإِن خانَت قُلوبُهُمُ الوِدادا
تُعَيِّرُني العِدا بِسَوادِ جِلدي وَبيضُ خَصائِلي تَمحو السَوادا[٢]

فتصور الأبيات نموذجًا دالًا على مفارقة المخالفة الموجودة على مستويين من المعنى، كل منها يخالف الآخر؛ لتشير إلى مخالفة كلية الحالة. ففي البيت الأول تظهر المفارقة معاداة الشَّاعر لصروف الزمن، وهذا مخالف للمعهود ، حيث إنَّ الزَّمان لا يعادى، وفي البيت الثاني، يظهر معنيان مختلفان، حيث ينصح الشاعر قومه الذين ضيعوه ولم يبقوا عليه، ويستمر في ودهم رغما عن خيانة قلوبهم له، فتقديم النصيحة يخالف عدم التمسك، والود مخالف للخيانة.

أما البيت الثالث فيأتي لتظهر فيه حالة المفارقة بشكل أكثر وضوحا، إذ يستخدم المخالفة اللونيَّة بين السَّواد والبياض حيث يُعَيره قومه بسواد جلده، حين تظهر خِصاله واصفًا إياها بالبياض ويركز على البياض ويجعله أكثر من نقيضه ، بحيث يمحو البياض السَّواد.

---

١) سعيد شوقي: بناء المفارقة في الدِّراما الشعرية ، ص ٢٦٢ .

٢) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ٤٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويصف حاله ويشكو زمانه: (الخفيف)

حَسَناتي عِندَ الزَمانِ ذُنوبُ ... وَفَعالي مَذَمَّة وَعُيوبُ
وَنَصيبي مِنَ الحَبيبِ بِعادٌ ... وَلِغَيري الدُنُوُّ مِنهُ نَصيبُ
كُلُّ يَومٍ يُبري السُقامَ مُحِبٌّ ... مِن حَبيبٍ وَما لِسُقمي طَبيبُ
فَكَأَنَّ الزَمانَ يَهوى حَبيبًا ... وَكَأَنّي عَلى الزَمانِ رَقيبُ [١]

فتدخل المفارقة بصورة أساسية ضمن آليات البناء الفني والموضوعي للأبيات. فالأبيات تقوم على مفارقة التخالف، فقد ذكر الشَّاعر الشيء، وما يخالفه في المعنى، فكل ما فعله، وحققه من مجد، صار ذنوبًا بدلًا من أنْ يكون حسنات، ونصيبه البُعد والفراق عن محبوبته، ولغيره القرب، حتى ألمه ووجعه في بعده عن عبلة أصبح لا دواء له، في حين يشفي المحبين ويبرؤون من آلامهم. ويصور الزَّمان في البيت الأخير مُحبًا يريد القرب من محبوبته، في حين يحاول عنترة أنْ يحول بينه وبينها، كل هذا جعل الزمان غاضبًا عليه كارهًا له جاعلا كل أفعاله الحميدة ذنوبًا يستحق عليها العقاب والعناء.

وكذلك قوله في ذلك الموقف يفتقر إلى الرؤية الموضوعيَّة، في مِثل هذه الغربة التي يعيشها الشَّاعر وظروف الذِّلة، مما يدعو إلى مفاجأة القارئ بمخالفة المتوقع: (الطويل)

أُحِبُّ بَني عَبسٍ وَلَو هَدَروا دَمي ... مَحَبَّة عَبدٍ صادِقِ القَولِ صابِرِ
وَأَدنو إِذا ما أَبعَدوني وَأَلتَقي ... رِماحَ العِدا عَنهُم وَحَرَّ الهَواجِرِ [٢]

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص ٢٢
٢) السابق ، ص ٧١ .

يكشف الشَّرط وجوابه في البيتين السابقين عن مفارقة المخالفة، فالشَّاعر على الرغم من موقف أهله منه، فإنَّه يخالفهم في أفعالهم، فهو باق على حبهم حتى لو سفكوا دمه ، ومازال يدنو منهم ويدافع عنهم و إن استمر طردهم وإقصاؤهم له. فهم يتبرؤن منه وهو يبادلهم الحب، فكلا الفعلان مخالف للآخر، الكره يخالف الحب والقرب يخالف البُعد، بل تزداد المخالفة في أسلوب الشرط بالبدء بالحب، وكأن حالة الحب نتيجتها الطبيعية الهدر للدم والإبعاد.

و ظهر في موطن آخر يذكر الشَّاعِر الفارس تلك الحالة الغريبة، مُعبِّرًا عن درجات مختلفة من المشاعِر، وكأنَّ السَّيف حيال أي شخص آخر غير عنترة يتصلب من موقف تعميمي قائم على الرفض العنصري لحامله، كما جاء قوله: (الخفيف)

يَضحَكُ السَيفُ في يَدي وَيُنادي وَلَهُ في بَنانِ غَيري نَحيبُ(١)

فالسَّيف – هنا– له موقفان مخالفان كل منهما للآخر:

- الأول يتمثل في الضَّحك والسّرور بقوة حامله وشجاعته إذا كان مع عنترة. والشاعر يصور السيف ينادي على الأعداء مفتخرًا باليد التي تمسكه.
- والثاني في البكاء والنَّحيب إذا كان في يد غيره حزنًا على مفارقة عنترة . فهو يمثل إعادة توجيه للمشاعر وفق الحامل له.

وقوله وهو في أسر المنذر بن ماء السَّماء، عندما صعبت عليه نفسه، وشقَّ عليه ما هو فيه، وقد خرج عنترة إلى العراق حيث أراضي المنذر؛ ليسوق من إبله مهرًا لعبلة : (الطويل)

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد ص، ٢٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَلَستُ بِباكٍ إِنْ أَتَتني مَنِيَّتي وَلَكِنَّني أَهفو فَتَجري مَدامِعي[١]

فيُولِد الاستدراك هنا المفارقة ؛ فقبل "لكن" يصور الشَّاعر نفسه صامدًا قويًّا لا يبكي، حتَّى وإنْ لَقي حتفه، وبَعد " لكن" صورة أخرى مخالفة للذَّات نفسها، يظهر فيها ضعيفًا لا يقوى على تحمل بُعد أحبته عنه، فتجري مدامعه وتسيل رغما عنه، إذ في استخدامه للفعل يجري دليل على كثرة الدِّموع وسرعة نزولها، في مقابل ثبات الذات في أشد لحظات الخوف البشري و هي المنية، التي لذكرها – و حسب– وقعه الشديد.

وكذلك مخالفة الحالة المعتادة في العشق في قوله: (الوافر)

وَإِنّي أَعشَقُ السُّمرَ العَوالي وَغَيري يَعشَقُ البيضَ الرِشاقا[٢]

كان من المتوقع أنْ يُعَبِّر الشَّاعِر عن عشقه للبيض الرِّشاق، إذ "من الواضح أنَّه لا توجد مفاجأة أو خيبة ظن لو لم يوجد التَّوقع"[٣] ومن ثمَّ تتحقق المفارقة عندما يخالف الشَّاعر غيره في حبه للسُّمر العوالي، في حين يحب غيره البيض الرِّشاق.

٤) **مفارقة الأدوار في الموقف**:

لا تقف المفارقة عند مخالفة الموقف المعتاد و الحالة الطبيعية، بل قد يشكل تغير الموقف صورة من المفارقة. "ففي هذا النوع من المفارقة يتخلى صاحب الموقف عن الموقف الذي عُرِفَ به واقترن به في ذاكرة الثقافة ليؤدي دورًا جديدًا مفارقًا لِما عُرِفَ به."[٤] وتتولد مثل هذه المفارقة

---

١) شرح ديوان عنترة ، ص ٨٢ .
٢) السابق ، ص ٩٧.
٣) نبيل راغب: عناصر البلاغة العربيَّة ، ص١١٥ .
٤) سامح الرواشدة: فضاءات شِعرية، ص٢٣.

في شِعر عنترة؛ بسبب تجربته الحياتية وصدمته وخيبة أمله في كثير من البَشر، خاصة أهله وموقفهم منه، ومن أمثلتها في شِعره قوله: (البسيط)

أَطوي فَيافي الفَلا وَاللَيلُ مُعتَكِرُ وَأَقطَعُ البَيدَ وَالرَمضاءُ تَستَعِرُ[١]

وَلا أَرى مُؤنِسا غَيرَ الحُسامِ وَإِن قَلَّ الأَعادي غَداةَ الرَوعِ أَو كَثُروا

وتتقد بصيرته مُغلفا إياها بحزن وشجن، فليس لعنترة أنيس أو رفيق يشاركه مآسيه وأحزانه ، فلم يجد غير الحُسام مؤنسًا وخليلًا له. وتتجلى المفارقة حين يؤدي السَّيف وظيفة أخرى جديدة غير المعهود به عنه بأنَّه أداة من أدوات الحرب، ليصير خِلًا وصديقًا ومؤنسًا .

وفي موضع آخر يقول فيه: (الطويل)

فَيا نَسَماتِ البانِ بِاللَهِ خَبِّري عُبَيلَةَ عَن رَحلي بِأَيِّ المَواضِعِ

وَيا بَرقُ بَلِّغها الغَداةَ تَحِيَّتي وَحَيِّ دِياري في الحِمى وَمَضاجِعي

أَيا صادِحاتِ الأَيكِ إِن مُتُّ فَاندُبي عَلى تُربَتي بَينَ الطُيورِ السَواجِعِ

وَنوحي عَلى مَن ماتَ ظُلماً وَلَم يَنَل سِوى البُعدِ عَن أَحبابِهِ وَالفَجائِعِ

وَيا خَيلُ فَابكي فارِساً كانَ يَلتَقي صُدورَ المَنايا في غُبارِ المَعامِعِ[٢]

فتكشف الأبيات عن جملة من المفارقات، استخدم فيها الشاعر الحوار مع الجمادات والحيوانات ليسترعي انتباه المتلقي نحو قصده الشعري وما يتشبع به من أعماق الحزن والأسى اللذان يشعر بهما ، فعلى هذه الجمادات القيام بامور أخرى غير وظيفتها، انسجاما مع تلك الحالة التي انتابته من

١) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ٦٧.
٢) السابق، ص ٨١-٨٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فَقَدَ الأمل في مَنْ حوله، فلا أهل ولا صديق ولا أحبة. فلم يجد أمامه سوى الجمادات والحيوانات ليعوضوه عن مَن فقدهم. فقد وجد نفسه مدفوعًا إلى ذلك نتيجة لما أحاط به من إحباط وخيبة أمل في البشر، فأخذ يشكو إليهم أحزانه وآلامه من فراق أحبته، ويطلب منهم أنْ يوصلوا مشاعره و انفعالاته لهم.

وربما يكون هذا الأمر أمرًا عاديًّا اعتاده الشُّعراء، خاصة في بيئة تشكل الجمادات و الحيوانات مكونا وملهما إبداعيا رئيسا، ولكن الشَّاعر يستمر في صنع المفارقات؛ فيضيف وظيفة جديدة للحيوانات عندما يطلب منها أنْ تبكي عليه بعد موته، ويندبن على تربته، وكأنَّه يشعر ألا أحد سيبكيه من البَشر، وبهذا أراه أنسن الجمادات والحيوانات، وأسند لها دورًا جديدًا غير ذلك الدور التقليدي الذي اقترنت به في ذاكرة الثَّقافة العربية.

و كثيرا ما يقف الشَّاعر بين سلطتين: سلطة السَّيف وسُلطة الثَّغر، السُّلطة الأولى تمارس نشاطها في الحرب، بينما الثَّانية تظهر في السِّلم، فيقول: (١)

ولِقَد ذكرتك والرماحُ نواهلٌ ... مِنّي وبيضُ الهِندِ تقطرُ مِنْ دَمِي

فوددتُ تقبيلَ السِّيوفِ لأنَّها ... لمعت كبارقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

إنَّه يشتهي الحياة في الموت؛ إذ يرى في حدِّ المنيَّة لَذة التَّقبيل، كما يحلم بلحظة وصال محبوبته عبلة عند رؤيته في لمعان السّيوف، التي ارتعشت عندما تخيل ثَغر محبوبته. كما تتقاطر دماء الفارس كورد الحُب. ومن ثَمَّ تتولد المفارقة إذ تختلط لديه مرارة الموت بحلاوة الحُب، وتقوم

١) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ١٢٦.

الألفاظ السلبية بالإشارات إلى أدوار إيجابية كما ظهر في تلك المقابلات الآتية:

السيف ← المحبوبة الحرب ← السَّلام

الدَّم ← الورد الأحمر

تضمين سلبِّي ..... ← شعور إيجابي

٥) **مفارقة التحول**:

وتبدو الصورة في هذا النوع من المفارقة "بدلالات معينة لكنها تتحول إلى دلالات جديدة مغايرة لما بدأت به، كأن تكون الدلالة إيجابية فتتحول سلبية، أو تكون سلبية فتتحول إيجابية"[١]، فهنا التحول لا يقف عند نمط ثابت، ويتمثل ذلك في قول عنترة:

خَدَمتُ أُناساً وَاتَّخَذتُ أَقارِبا لِعَوني وَلَكِن أَصبَحوا كَالعَقارِبِ

يُنادونَني في السِلمِ يا اِبنَ زَبيبَةٍ وَعِندَ صِدامِ الخَيلِ يا اِبنَ الأَطايِبِ[٢]

ويعكس البيتان في مراياه الشِّعريَّة طيفاً خفيًّا من حقائق خفيَّة، تكمن في داخله، مليئة بالحزن والأسى، فيظهر التحول في البيت الأول متمثلًا في موقف أهله الذين خدمهم واتخذهم أقاربًا له، فقابلوا جميل صنعه بالإساءة وتحولوا كالعقارب، ويأتي البيت الثاني؛ ليجسد مفارقة أخرى، وهو التحول البين من قومه الذي يثير دهشته، فيصف ثبات موقفه مقارنًا بتغير حالهم معه وقت السّلم ووقت الحرب، فسرعان ما يتحول حالهم من حال

١) سامح الرواشدة: فضاءات شِعريَّة ، ص٢٢ .

٢) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص ٢٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لآخر، ففي وقت السّلم يتعاملون معه على أنَّه العبد الأسود، الذي لا مكانة له بينهم، وإذا غار عليهم أحد أو احتاجوا إليه وقت الحرب نظروا إليه نظرة مغايرة، نظرة احترام وإجلال.

وقوله أيضًا فيما يدل على اعتداده بنفسه: (الوافر)

وَلَو أَرسَلتُ رُمحي مَع جَبانٍ لَكانَ بِهَيبَتي يَلقى السِباعا[١]

ويكشف الشَّرط وجوابه عن المفارقة التي أراد الشَّاعر بثها في البيت، فقد تحول الجبان فارساً هُماماً، يخافه الجميع لمجرد أنْ يهبه عنترة رمحه، وكأنَّ الرمح تسبب في هذا التحول ومنح حامله الهيبة والشجاعة. وكذلك في قوله ردًا على عدم إنصاف أهله له واتساع الهوة بينه وبينهم. وسبك تلك الظّروف الخاصة سبكًا شِعريًّا، إذ يضع صورته كما رسمها النَّاس أمام مرآة تقويمه الذَّاتي؛ ليصل إلى المفارقة؛ فتوضع الأمور مواضعها الحقَّة لتظهر نصاعتها وأحقيتها :

سَوادي بَياضٌ حينَ تَبدو شَمائِلي وَفِعلي عَلى الأَنسابِ يَزهو وَيَفخَرُ[٢]

فتبدو المفارقة –هنا– حين يتحول لون عبوديته أو سواده بياضًا؛ بسبب خِصاله وشمائله وأفعاله. ومن ثمَّ يظهر ما تخفيه ذات الشَّاعر المتألمة إزاء لونه، إذ يسعى جاهدًا لإثبات ذاته ولإعادة التَّوازن إلى الفارق أو الاختلال الطَّبقي والخروج من بوتقة الرِّق والعبوديَّة ؛ فيحاول أنْ يصنع لنفسه عالمًا يخرج فيه من عالَم الظلم ونكران الجميل الذي فرضه عليه مجتمعه.

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص٢٧.

٢) السابق ، ص ٧٩ .

ولا يقف التحول في المخالفة عند الموقف المباشر، بل قدم الشاعر تحولا مشهديا مرتبطا بالحالة والموقف معا، حينما عبر عن ذلك، مصورًا شعوره بالسَّعادة لإشراق وجه محبوبته وكأنَّ تحول الأمور المحمودة في حياته متوقف على كشف برقعها أو رؤية وجهها: (الكامل)

وَكَشَفتُ بُرقُعَها فَأَشرَقَ وَجهُها حَتى أَعادَ اللَيلَ صُبحاً مُسفِرا[١]

فيزدان البيت بالمفارقة التي استخدمها عنترة في وصف محبوبته عبلة، عندما يؤثر جمالها وإشراق وجهها في تحول الليل المظلم صُبحًا مشرقًا. فقد تحول الليل والظَّلام الدَّامس والخوف والقلق إلى البركة والنُّور التي تملأ حياته، أو الرَّاحة بعد التَّعب والسَّكينة بعد الشَّقاء. كما تبرز المفارقة في تحول الليل إلى نهار، بعيدا عن فكرة التعاقب، وهذا أمر مستحيل منطقيا، أن يتحول أحدهما إلى الآخر بمعنى النفي للآخر و الاستحالة.

ويقول عنترة -شاعر الحُب والحرب معا- في مشهد مفارقة وتحول خاص: (الكامل)

وأنا الرَّبيعُ لِمَنْ يَحُلُّ بساحتي أسدٌ إذا ما الْحَرْبُ أَبْدَتْ نابها[٢]

و يجمع- هنا- عنترة بين العفو والانتقام من العدو الظَّالِم أثناء وطيس الوغى واشتعال نار الحرب والقتال. فهو أسد البيداء. فهنا تحول موقفي وفق اللحظة، التي تستدعيه.

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص٧٨.

٢) عنترة بن شداد: ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي ص ٣٤٠، و ينظر: ابن الشجري: الحماسة الشجرية، ٣٦/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كذلك في تحول آخر – يقترن باستخدام لقبه– تفيض دموعه، عندما تَذَّكرَ فِعل أبيه وقومه معه بعد دفاعه عنه ومشاركته حروبهم، لكنه يتحولون في مناداته بقوله: (الطويل)

خَدَمتُ أُناسًا وَاتَّخَذتُ أقـــاربًا لِعَوني وَلَكِن أَصْبَحُوا كَالْعَقارِبِ[1]

يُنادونَني في السِّلم يا اِبنَ زَبيبَةٍ وعِندَ اصطِدامِ الْخَيْلِ يا اِبْنَ الْأَطايبِ

وَلَولا الْهوى ما ذَلَّ مِثْلي لِمِثْلِهِم ولا خضَعَت أُسدُ الفَلا لِلثَّعَالِبِ

فيوضح الشَّاعر المفارقة والتَّحول من معاملة قومه له محتقرًا في عين والده وأعمامه وقت السِّلم عنها في وقت الحرب، ففي الأول ينادونه بالعبد، ويتضح ذلك من قولهم له: يا ابن زبيبة؛ إذ كان العرب في الجاهليَّة إذا كان للرجل منهم ولد من أمه استعبده. بينما يتحول منادتهم وتلقيبهم له بابن الأطايب أو ابن الأشراف وقت احتياجهم له في وقت الحرب.

١ شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص٢٤.

المبحث الثاني

المفارقة التصوريَّة في شعر عنترة

يُعَدُّ مصطلح الصورة من أهم المصطلحات التي شاعت في حقل النقد الأدبي، ويغلب استخدام هذا المصطلح بين النقـاد والدارسـين المتصـلين بالأعمال الأدبية وخاصة الشِّعر، ولم يهتدِ أحد بعد إلى تحديد مفهومه ومعناه بِدقة ، فالمعروف أنَّ تحديد المصطلحات في الدراسات الأدبية لـيس أمـرًا سهلًا، ويبدو أنَّ مصطلح الصورة جاء بديلًا عصريًّا للتشبيه ، والاستعارة ، ولكنَّه يبدو أوسع مجالًا منهما ؛ حيث إنَّه يشمل التعبير الحقيقي والمجـازي معًا ، ومن هذا المنظور يندرج كل من التشبيه والاسـتعارة تحـت مِظَلَـة مصطلح الصورة ، وتُعَدُّ الصورة نوعًا من الانحراف عن الاستخدام العـادي للغة وتحليل هذه الصورة من مهام عِلم الأسلوب الحديث .

وقد تنبه علماء البلاغة قديمًا إلى هذا المصطلح ، واستعمل الجرجاني هذا المصطلح في أكثر من موضع في كتابه" دلائل الإعجاز" إذ قال: "واعلـم أنَّ قولنا (الصُّورة)، إنَّما هو تمثيل وقياس لِمَا نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارِنا ، فلما رأينا البَيْنُونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصـورة ، فكان تَبيُّن إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صـورة هذا لا تكون في صورة ذاك."[١] .و من ثمَّ يمثل"تشكل الصورة الشعرية خلق عَلاقات لُغوية خاصة، تكسب الكلمات بكارةً جديدةً ، وتخرجها مـن دلالتِهـا المباشرة إلى دلالات مجازيَّة."[٢].

---

١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٠٨.

٢) مدحت سعد محمد: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، ص ١٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالتَّشبيه- مثلا- هو "صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات أكثر، لا من جميع جهاته؛ لأنَّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه."[١] ويقوم أسلوب التشبيه على ربط طرفين يشترك كل منهما مع الآخر بصفة أو أكثر بأداة تسمى "أداة التشبيه". وتكمن بلاغة التشبيه في أنَّه ينقلك من الشَّيء نفسه إلى شيء طريف مشابه له أو صورة جميلة تمثله، إلى صورة تمثل منبها و مذكرا له. وكلما اقترب المتشابهان في وجه الشبه كلما أضعف من براعة التشبيه وقوّته لبعده عن الخيال وقُربه من الواقع، ويزداد التشبيه تأثيرًا وإعجابًا في النَّفْس كلما كان وجه الشبه بين طرفي التَّشبيه بعيدًا غير متوقع، ويدل هذا على حذق الشاعر وبراعته في اختيار تشبيهاته وقدرته على الابتكار، وأنَّه صاحب موهبة فنية تجعله يعرف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء ويربطها ببعض، وكلما تباعد طرفا التشبيه أو تنافرا بشكل ملحوظ، وخرجا عن العرف وقعت المفارقة، ومن أمثلة ذلك لدى عنترة :(الطويل)

جَعَلتُ مَنامي تَحتَ ظِلِّ عَجاجَةٍ وَكَأسَ مُدامي قِحفَ جُمجُمَةِ الراسِ[٢]

وتتماهى الألفاظ لتصنع مفارقة تصويريَّة، فيجمع الشَّاعر بين طرفين متباعدين؛ ليخلق مفارقة التَّشبيه بينهما، فيجعل مكان نومه وراحته تحت ظِل عجاجة، و العجاجة: واحدة العجاج، وهي قطيع من الجمال. ويجعل الكأس الذي يشرب فيه ويشعر فيه بالوله والهيام من قحاف جماجم رأس القتلى الذين ينتصر عليهم، وكلا التشبيهين يثير دهشة القارئ ؛ فكيف يأتيه النوم في وسط المعركة وتحت ظِل عجاجه، وكيف يجعل كأسه مما انفلق من

١) ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص ١١٩.
٢) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص ٧٨ .

الجماجم، وهذه أشياء مستكرهة للنفس، وتمثل صورة مستغربة لا تصدر إلا من نفس غير سوية، تنزع للانتقام في أبشع صوره، و عنترة -حتى في قتاله و صراعه- يظل الشاعر النبيل. فاستخدام هذا الأسلوب التشبيهي بهذا النمط يفارق الصورة المكرورة التي يقدمها الشاعر، ولكنَّها جاءت تحمل قصدا آخرو هو قمة القوة و عدم الخوف، و إنْ دلت على شيء فإنَّما تدل على شجاعة عنترة وبسالته، واعتياده الحروب وتمرسه عليها. ويقدم نفسه لعبلة- مدللًا لها في تصغيره لاسمها- لا بنسبه أو قيمته الاجتماعيَّة، وإنما بفروسيته التي قد تبهرها في مجال القتال: (الكامل)

إِنَّ المَنِيَّةَ يا عُبَيلَةُ - دَوحَةٌ وَأَنا وَرُمحي أَصلُها وَفُروعُها[١]

وتتضارب الدلالات في البيت لتجسد نوعًا من المفارقة، فتشبيه المنية بالدوحة يخالف العُرف والمنطق، وخيرية ما شاع عن هذا الكيان، بل هو الظل الذي يحمي، و الثمر الذي يلقى فنجني، فكيف – إذن- يكون مورد الهلاك و أنى له أن تمثل الشجرة المورقة الخضراء اليانعة أشباح الموت و الإفناء ؟! فذِكر الدَّوحة له أثر طيب في النفس يخالف الأثر الذي يتركه ذِكر الموت، ولكن الشَّاعر صنع هذه المفارقة وشبه المنيَّة بالدّوحة وجعل رمحه أصلها وفروعها؛ ليثبت لعبلة شجاعته وقوته، وأنَّ الموت بالنسبة له أمر هيِّن يذيقه، لأعدائه بكل سهولة متى أراد ذلك، وفي أي وقت شاء.

لم تقف المفارقة عند منطقة التشبيه، فهناك الاستعارة و مفارقاته، "فالاستعارة تركيب يحمل على تخيل صورة جديدة، وروعتها فيما تتضمنه من تشبيه خفي مستور، وإذا كان التشبيه يحقق صفة من الصفات في شيء

١) السابق ، ص ٨٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ما بصورة قوية، فإنَّ في الاستعارة خطوة أبعد في التَّخيل، الذي يُعبِّر عن تأثرنا بمظاهر الحياة والأحياء تعبيرًا حافلًا بمختلف المشاعر والأحاسيس وما ذاك إلَّا لأنَّها من ذلك النوع الموحي الذي يجعل القارئ أو السامع يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه وتصوِّر المنظر للعين وتنقل الصوت للأذن، وتجعل المعنى ملموسًا محسًّا" (١).

وهناك مَنْ يري مِنْ النقاد(٢). أنَّ الاستعارة هي الأصل في تطور الكلمات؛ حيث إنَّها تستخدم الكلمات استخدامًا جديدًا أو مبتكرًا ؛ فالشَّاعر حين يصل بإرادته إلى الجوانب المعنويَّة يرى الواقع برؤية جماليَّة، فيحاول التعبير عن إدراكه وتصوير رؤيته بالكلمات الدالة على الأشياء الحسيَّة الموجودة في اللُّغة ، فيجد أنَّ هذه الكلمات مقصورة على تلبية حاجته وإحساسه ورؤيته الجمالية للواقع، فيسعى إلى خلق سياقات جديدة من كلمات اللُّغة –نفسها– على سبيل الاستعارة، التي تعمل على صياغة الواقع بطريقة جديدة، وحل مشكلة اللغة –أيضًا– التي تعوق رؤيته الجمالية وتدفق مشاعره.

كما أنَّ المجاز الاستعاري يكتسب قيمته الجمالية "من قدرته على نقل حالة شعوريةً يحياها الأديب، وهذا يتطلب – تبعًا لتميز تجربة المبدع و خصوصيتها وتبلورها – خلق تصورات غير مألوفة في سياق القصيدة"(٣) كما أن الاستعارة وسيلة خرق للمتعارف عليه، ولتوليفات جديدة تثير استغرابـاً لدى القارئ، فقد نظر "جان كوهين" إلى الاستعارة على " أنَّها

---

١) ينظر: صلاح الدِّين عبد التَّواب، الصُّورة الأدبيَّة في القرآن الكريم، ص ٥٩.
٢) ينظر: حميد قبايلي: الاستعارة غادة البيان العربي، ١٣٤–١٤٥.
٣) فايز الداية: جماليات الأسلوب: الصورة الفنيَّة في الأدب العربي، ص ١١٤.

انزياح استبدالي يستند إلى انزياح سياقي هو المنافرة"[١]. و هو ما يعني أن الاستعارة مفارقة للغة و الصورة في ذاتها، قبل أن تزداد أبعاد المفارقة فيما يقدم من حالة التصوير و التشبيه لأطرافها تباعدا عن المألوف أو مفاجاة في تكوين العلاقة بين طرفي التشبيه.

ويرى كمال أبو ديب أنَّ هناك صلة بين الفجوة أو التَّباعد بين الأشياء والاستعارة؛ بقوله: "إنَّ للاستعارة قدرة على اكتشاف عَلاقات جديدة بين الأشياء المتباينة، أي على اكتشاف الفجوة القائمة بين الأشياء"[٢]، فالاستعارة تؤدي إلى خلق الفجوة: مسافة التوتر[٣]، وكلما اخترقت واختلفت زاد التوتر واللاتوقع والغرابة.[٤] ولقد أعلن عنترة العصيان على واقعه الذي فرضه عليه المجتمع وثار على أهله وتمرد على واقعه، فيقول:(الوافر)

عَرَكتُ نَوائِبَ الأَيّامِ حَتّى ... عَرَفتُ خَيالَها مِن حَيثُ يَسري
وَذَلّ الدَهرُ لَمّا أَن رَآني ... أُلاقِي كُلّ نائِبَةٍ بِصَدري
سَمَوتُ إِلى العُلا وَعَلوتُ حَتّى ... رَأَيتُ النَجمَ تَحتي وَهوَ يَجري[٥]

فتظهر في الأبيات السابقة الاستعارة القائمة على التجسيد، فقد عارك مصائب الزمن، و جعل له خيالا يسري، وجعله يشعر بالهوان والذُل أمامه، وكذلك جعل النجم يجري من تحته، ويبدو –هنا– سيطرة الشاعر على الكون، فقد أصبح ذا خبرة بمصائب الدهر وحوادثه، حتى سمت نفسه وعلت

١) جوهن كوين: بنية اللُّغة الشِّعريَّة، ص ١١٠– ١١١.
٢) في الشِّعريَّة، حسني عبد الجليل، ص ١٢٢.
٣) المصدر نفسه.
٤) تحليل الخطاب الشِّعري، حسني عبد الجليل، ص ٩٣.
٥) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص ٨٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فوق النجوم، لدرجة جعلت النجم يهوي ويسقط من تحته، ولا شك أنَّ هذا التباعد بين طرفي التشبيه في هذه الاستعارات ولد المفارقة وهذا يثير استطراباً لدى القارئ.

وقد تبدو هذه الصور في مجملها عبثًا ظاهريًّا بواقع الأشياء وألفة الحواس لها، لكنَّها في حقيقة الأمر لغة طبيعيَّة لتصوير الشعور العميق لدى الشَّاعر. حيث إنَّ " الصورة هي إعادة تشكيل للواقع ولا ترتبط به إلَّا بقدر ما يصبح مكتسبًا خصائصها الذَّاتيَّة بحيث يصبح للصورة واقعها الخاص. فتصير الأشياء جديدة؛ لأنَّها عناصر في مناخ جديد، وبنية جديدة، تتمثل فيها كل الملكات والحواس، في لغة هي مزيج غريب من المنبهات المتنافرة، تكون من الروح للروح، ملخصة كل شيء، الأشذاء والأصوات والألوان المرئي وغير المرئي، مجتذبة الفكرة من الشيء ومعلقة الشيء بالفكرة، مجتذبة الفكرة من الفكرة، ومعلقة المعنى بالمعنى. بحيث تخضع لحقيقة الشَّاعر، الذي يجهد للتَّعبير عنها تعبيرًا كليًّا"[١].

١) مصطفى السَّعدني، فلسفة الصّورة في شِعر محمود حسن إسماعيل، ص ٨٢.

المبحث الثالث:

المفارقة اللفظيَّة و آثارها في شعر عنترة

لعل المفارقة اللفظية هي أبرز صور المفارقة عامة و مدخل لكل صورها، و مقصودها العام يتمثل في أنها "شكل من أشكال القول يُساق فيه معنى ما في حين يقصد منه معنى آخر، غالبًا ما يكون مخالفاً للمعنى السَّطحي الظاهر.[١] و كثر ارتباطها في شعر عنترة بمعاني الشجاعة و القتال و ظلم الرق و العبودية. فالشَّجاعة –مثلا– ليست مجرد وصف عادي إذا ذكر شاعر العربية عنترة، إنها فيه طبع أصيل، فهو نموذجها الخالد في الذاكرة العربية، وهذه هي سمة مَنْ يليق بهم وصف الرِّجال؛ خاصة إذا ذكر ما يكون مخالفاً لذلك، كم جاء قوله: (الكامل)

واذهب فأنتَ نعامَةٌ مذعورةٌ وَدَع الرِّجالَ قتالها وسبابهَا[٢]

فقد بنى تركيب (و اذهب فأنتَ نعامَةٌ مذعورةٌ وَدَع الرِّجالَ قتالها وسبابها) على مفارقة، اعتمد فيها على توظيف معطيات متناقضة في نسق واحد، إذ ليس هناك أية مناسبة بين لفظة (نعامة) وبين لفظة (رِجال). حيث تشكلت المفارقة بين مفردتي (نعامة) و(رِجال)عبر ثنائية (الضَّعف/ والقوة). فالرِجال تَعْنِي عدة معان هي: القوة، الشَّجاعة، الإقدام، المواجهة. ونفي الرجولة يقابل بكل وصف الضعف و الخنوع و الخوف...و كل ما يشير إلى ذلك، بما فيه من نزع اللفظ من الحيوانات و الجمادات.

---

١) سيزا قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، ص ١٤٤.

٢) ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي ص ٣٤٠، و في الحماسة الشجرية لابن الشجري، ٣٦/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وثمة مفارقة بين اللفظ وضده – أيضا– قائمة على البعد الزمني، نحو:

وظلَّ هَواكِ يَنْموكُلَّ يَومٍ كما ينمو مَشِيبِي في شَبابِي[١]

فيبرز التَّضاد الوارد بين (مشيبي ، وشبابي) للمفارقة العجيبة بين حبه لعبلة، الذي ينمو ويزداد بداخله، ومشيبه الذي ينمو بخارجه يومًا بعد يوم.

ويقول – أيضًا – متغزلا في عبلة مع الجمع بين لفظي وحالتي المفارقة: (الكامل)

بَسَمَتْ، فلاحَ ضياءُ لُؤلُؤ ثَغرِها فيهِ لِداءِ العاشِقِينَ شِفَاءُ[٢]

وقوله– أيضا–: (الكامل)

فهناك لا أَلْوِي عَلَى مَنْ لامَنِي، خوْفَ المَماتِ وَفُرْقَةِ الأحْيَاءِ [٣]

وقوله في رجاء تمديد عمره رغبة في عطاء و إبداع أكثر:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأصْنَعَنَّ عَجَائِبًا، ولأبْكِمَنَّ بَلاغَةَ الفُصَحَاءِ [٤]

ويقول إذا أمهله الزَّمان عُمرًا، ليكونن له من الأفعال التي يكون له فيها من المجد والرِّفعة، بل التي تثير الدَّهشة والحيرة للآخرين، فيكون له من الشِّعر الذي يسكت بلاغة الفصحاء، وهنا تأتي المفارقة في سكوت الفصاحة لغيره. و من ثم فإنَّ نص عنترة بن شدَّاد بهذه الصيغة التناقضيَّة

---

١) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص ١٤.
٢) السابق، ص ٦.
٣) روي البيت بالكسر مخالف للقصيدة في المصدر السابق نفسه.
٤) شرح الديوان، ص٧.

يكشف عن عَلاقات النَّاس بعضها ببعض: العبد بالسيد، الذات والآخر، المحب والمحبوب، الماضي والحاضر، ثم الواقعي والحلمي وما يخلفه الواقعي من صدى الإحباط ثم الانتشال من هذا الإحساس بالأخيلة المثقلة بالتَّطلعات الإنسانيَّة من قِبَل أهله.

وختام هذه المحاورة لا بد من القول إن تجربة عنترة بن شداد في تاريخ الأدب العربي تجربة فارقة في تاريخ الشعر العربي القديم، امتلأت بالمفارقات، التي كانت أكثر مصدر أسبغ عليها الخصوصية، ونقلها من التجربة إلى السيرة الشعرية ذات التعاريج المعقدة؛ لأنها سيرة لشخصية خاصة، قلما تتكرر في ذاكرة الإبداع العربي بتلك المفارقات." إنَّ عنترة ذاك الإنسان المجرب الذي يمتلك رصيدًا معرفيًّا متراكمًا من الخبرات يقرأ نفسه، ويقدم ثمرة ذلك إلى مَنْ يهمه الأمر في إطار لوحة مرسومة باللغة تجمع بين متعارضين في الفَهم والرؤية، طرفاها: فرد يتأمل داخل ذاته وخارجها قارئًا الاثنين بطريقة ترجو السَّلامة والإصابة، وطرف ثان جمعي الطَّابع يعتمد في مواقفه على منطلق ذِي صبغة عاطفيَّة قد تغيب عنها مقومات النَّظر العقلي المنظم إلى حد ليس بالقليل."[١]

١) أحمد يحيى على: القصة التُّراثيَّة العربيَّة، ص ٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة:

كان التأثير الكبير الذي حققه شِعر عنترة في الحركة الإبداعيَّة والنَّقديَّة مدعاة لتأمل دقيق في مجال توظيف آلية من الآليات الفاعلة في الإبداع والتَّلقي على حدٍ سواء؛ وذلك بإدخال المؤثرات الانحرافيَّة ذات الطَّابع الإزدواجي المغاير للمألوف. إذ كان الشاعر على درجة كبيرة من الوعي بتوظيف المفارقة بأشكالِها المختلفة اللفظيَّة كانت أم السِّياقية، واعيا بأهمية القرائن التي يجب أنْ يبثها في حنايا نصه لكي يؤثر في القارئ ويحاول اكتشاف تلك المفارقات. لقد كانت المفارقات ردءا له، ولسانه المدافع عن قضيته؛ لكي يكشف لقومه و محبوبته خاصة، و كل سامع له على وجه العموم معاناته. فكان الشعر و المفارقة شريكان في القيام بتلك المهمة.

وبناء على ذلك يمكن إجمال نتائج البحث بالآتي:

- أثار عنترة عنصر الدَّهشة لدى القارئ، حيث عرض تجربة شعرية كشفت تناقضات بيئته و سلوك مجتمعه القبلي تجاهه، و هو درعهم و مصدر حمايتهم.
- كانت المفارقة في الألفاظ والمواقف وسيلة أسلوبيَّة ولدت فضاءً أسلوبيًّا خاصًّا بالشَّاعر، بعد أنْ كسر أفق التوقع وعمل على خلخلة النظم المعهودة والمعروفة .
- المفارقة جعلت القارئ له وظيفة مهمة في الخلق والإبداع، وملأ الفجوات التي صنعها الشَّاعر بما هو غير متوقع.
- تسيطر على معظم صور عنترة الشِّعريَّة فكرة التَّضاد، التي تتميز بالقدرة الكبيرة على خلخلة العَلاقات المألوفة بين الأشياء أو الأحداث

أو الشخصيات أو المواقف، وكلها تصب في تقنية المفارقة، التي كانت محل الدَّراسة.

- أظهر شِعر عنترة تحكمًا بالمستوى العميق للنَّص أدى إلى مظاهر جديدة من التَّناقض يرتبط ارتباطًا واضحًا بمعطيات البنى الإنسانيَّة والإبداعيَّة للشَّاعر على حدٍّ سواء.
- مثل الارتباط بين السياق الشعري للمفارقات بصورها المختلفة صورة لتجربة شعرية وحياتية متسقة و كلية لهذا النموذج الشعري.

وأخيرًا يمكنني القول إنَّ المفارقة في شعرعنترة حققت وظيفة إصلاحيَّة عن طريق التَّوازن النَّفسي والعملي، الذي قام به الشَّاعر في حياته تجاه الذين أبعدوه عن حياتهم السِّلميَّة في حين قربوه إليهم حين حاجتهم إليه في حالة الحرب، بشكل غير متوقع لدى القارئ .

و الحمد لله رب العالمين

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع:

- **الأصفهاني (أبو الفرج على بن الحُسين)**:الأغاني، ج (٨)، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ٢٠٠١م.
- **بدوي(عبده)**: دِراسة في نص للمتنبي، مجلة الشِّعر، ع (١٤)، القاهرة، أبريل ١٩٧٩م.
- **برديائف (نقولا)**: العزلة والمجتمع، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: على أدهم، ط (٢)، بغداد، دار الشؤون الثَّقافيَّة العامة، ١٩٨٦م.
- **الجرجاني (عبد القاهر)**: دلائل الإعجاز، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر– مهرجان القراءة للجميع (مكتبة الأسرة)– القاهرة، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- **الدَّاية (فايز)**: جماليات الأسلوب– الصُّورة الفنيَّة في الأدب العربى، ط (٢)، دار الفِكر المعاصر، ١٩٩٦م.
- **راغب (نبيل)**:عناصر البلاغة العربيَّة، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب ٢٠٠٣م.
- **الرَّواشدة (سامح)**: فضاءات شِعريَّة: دراسة في ديوان أمل دنقل، الأردن، المركز القومي للنشر،١٩٩٩م
- **زايد (علي عشري)**: بناء القصيدة العربيَّة الحديثة، مكتبة دار العلوم الحديثة، ١٩٧٩م.
- **السَّعدني (مصطفى)**: فلسفة الصّورة في شِعر محمود حسن إسماعيل، مجلة الشِّعر، ع (٢٦)، السنة السابعة، أبريل ١٩٨٢م.

- **السِّيوفي (مصطفى):** تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ط (١)، القاهرة، الدَّار الدَّوليَّة للاستثمارات الثَّقافيَّة، ٢٠٠٨م.
- **ابن الشجري (هبة الله بن علي):** الحماسة الشجرية، تحقيق عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٠م.

شوقي (سعيد): بناء المفارقة في الدّراما الشِّعريَّة، القاهرة، إيتراك للنشر والتوزيع،٢٠٠١م.

- **عبد التَّواب (صلاح الدِّين):** الصُّورة الأدبيَّة في القرآن الكريم، الشركة العالمية المصرية العالمية للنشر – لونجان ، ١٩٩٥ م
- **عبد اللَّطيف (عبد التَّواب محمود):** المفارقة في المسرح الشِّعري في مصر في الرُّبع الأخير من القرن العشرين، شمس للنَّشر والإعلام، ٢٠١٤م.
- **عبيد (محمد صابر):** الخِطاب الخفي، كَنْزُ السِّيرة وسِحرُ المخيلة، مجلة الرَّافد، ع (١٢٠)، دائرة الثَّقافة والإعلام (الشَّارقة)، يونيو ٢٠١٦م، ص ١١٠.
- عصفور (جابر): رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربيَّة في الشِّعر، ط (٢)، القاهرة الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ٢٠١١م.
- **علي (أحمد يحيى)، و قطب (سيد محمد):** القصة التُّراثيَّة العربيَّة (فن الخبر القصصي)، الشَّخصيَّة العربيَّة ومفهوم القوة، سيرة عنترة بن شداد نموذجًا، ضمن كتاب: " السَّرد ووظائفه، دراسة في الأشكال والغايات"، تراسل في النَّقد التَّطبيقي (حلقة عبد الله خورشيد للسرديات)، القاهرة، مكتبة أوزيريس، ٢٠١٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- **عنترة بن شداد:** ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ١٩٧٠م.
- **عنترة بن شداد:** شرح ديوان عنترة، بتصحيح أمين سعيد، مصر، المكتبة التجارية، د.ت.
- **قاسم (سيزا):**المفارقة في القص العربي المعاصر مجلة فصول،مج٢، ع ٢ ، ١٩٨٢م.

القيرواني (ابن رشيق): العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميَّة ، ١٩٨٣م.

- **كوين (جوهن):** بنية اللُّغة الشِّعريَّة، ترجمة: محمد الوالي، ومحمد العمري، المعرفة الأدبيَّة، ١٩٨٦م.
- **محمد (مدحت سعد):**الصُّورة الشِّعريَّة عند أبي القاسم الشَّابي، الدَّار العربيَّة للكتاب، ١٩٨٤م.
- **ميويك (د. سي):**المفارقة وصفاتها، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة،العراق– بغداد، دار المأمون للترجمة، (د.ط)، ١٩٧٧م.
- **النَّقاش (فريدة:):**أوهام ليست جديدة، مجلة أدب ونقد، ع (١٤)، حزب التَّجمع الوطني التَّقدمي الوحدوي، السنة الثَّانية، أغسطس ١٩٨٥م.
- **يوسُف (حسني عبد الجليل):** المفارقة في شِعر عدي بن زيد الموقف والأداة، الإسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٩م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	الملخص	١٤٦٣٧
٢.	Abstract	١٤٦٣٨
٣.	مقدمة:	١٤٦٣٩
٤.	مدخل:	١٤٦٤٤
٥.	المبحث الأول: مفارقة الموقف و التجربة الشعرية العنترية	١٤٦٤٦
٦.	المبحث الثاني: المفارقة التصوريةً في شعر عنترة	١٤٦٦٥
٧.	المبحث الثالث: المفارقة اللفظيةً و آثارها في شعر عنترة	١٤٦٧١
٨.	الخاتمة:	١٤٦٧٤
٩.	المصادر والمراجع:	١٤٦٧٦
١٠.	فهرس الموضوعات	١٤٦٧٩